

مقدمة:

في أهمية الدعوة واتساع مفاهيمها وتحدياتها، وأن جزء منها يتناول الافتراق الذي أصاب الأمة، وأن جزء منها في بعض الفرق التي أصبحت تشكل هاجساً في نفي الآخر ومحاوله فرض الهيمنة، ومن هؤلاء الشيعة، وهو مشروع موجود على الأرض وليس من افتراضات البعض.

محاولة الحل

أولاً: استيعاب المشكلة بأطرافها وتشعبها، فهي فتنة في بلدان كثيرة . وليست خاصة بالسودان

ثانياً: ما هي ملامح الحل ولو في الإطار النظري المجرد. ماذا ينبغي أن نفعل؟ التأكيد على أن الحل لا يكون جزئياً ولا فتوياً، بل لا بد أن يكون شاملاً

ثالثاً: ما هي القيود والمحددات؟ مصلحة البلد في العلاقة مع إيران وكيف يتم رعاية هذه المصلحة

رابعاً: ما هو الحل العملي القابل للتنفيذ والذي لا يتعارض مع المصالح

خامساً: إذا حصل التوافق في كيفية معالجة المرض؛ فما هي آلية التنفيذ؟ أعني النواحي العلمية والفكرية والأمنية والسياسية والدبلوماسية. تشكيل لجنة وتسمية ناس يكونون فرقة عمل تعقد اجتماعات وتتابع التقارير وتضع الحلول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين

الأخوة الكرام حفظهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ندعو الله تعالى أولاً أن يوفقكم ويسدد خطاكم لما فيه خير البلاد والعباد

أما بعد

فإن أمة الإسلام لم تفتن بفتنة في تاريخها أكبر من فتنة الاختلاف والتفرق والاحتراب التي بدأت أواخر الخلافة الراشدة واستمرت بإفرازاتها ليومنا هذا، تثور حيناً وتخبو حيناً آخر.

والتحقيق المستقصي لأحداث التاريخ يشير إلى أن جزءاً كبيراً من أسباب تأجيج هذه الفتنة كان خارجياً (بالإضافة إلى الأسباب الداخلية المركوزة في طبيعة البشر والمجتمعات).

وكان من آثار هذه الفتنة بروز الطائفة الشيعية بفرقها الكثيرة المنتشرة على طول التاريخ، حتى انتهت زعامة الطائفة الآن إلى الفرقة الاثني عشرية من بين الفرق الشيعية، وهي التي تمسك بزمام الأمور في إيران بعد ثورة الخميني.

والمأمل في أدبيات الحركة الإسلامية قبيل ثورة الخميني يجد أن الروح التي كانت تلهمها اختياراتها العلمية والعملية في مواجهة التحديات هي روح المحبة ونسيان خلافات التاريخ بين المسلمين والاتجاه نحو التوحد في المواقف والرؤى والعمل في الميدان، وكل من تربى في أحضان الحركة الإسلامية يعلم ذلك يقيناً، ومن هذا المنطلق كان تعاطف وتفاعل أبناء الحركة الإسلامية مع ثورة الخميني في إيران.

ولكن المراقب للأحداث يكتشف بعد حين - ومع كل الأسف - أن الروح التي كانت تسود أدبيات ثورة الخميني في دهاليزها السرية والتي كشفتها الأحداث والتصريحات لاحقاً لم تكن تسير بهذا الاتجاه، بل ظلت حبيسة أوهام تاريخية بالية، وربيبة ثقافة الكراهية وروح الانتقام، وأسيرة فلسفة ملكية الحق الأوحده من بين فرق المسلمين، ورهينة منهجية مصادرة الآخر عند التمكن.

من هذه الأسس ومن هذه الموجهات الفكرية انطلقت إيران الخميني في علاقاتها مع بقية المسلمين، ولكن ليس جهاراً وإنما بالتستر بلباس التقية الخادع الذي انخدع به كثير من المسلمين - وما زالوا - مع شديد الأسف والأسى.

فتحت ظل شعارات زائفة في الوحدة والتقارب كانت تقيم علاقاتها مع العالم الإسلامي ظاهراً، وفتحت السفارات والقنصليات والمراكز الثقافية، ولكن المنشط الرئيسي لها كان يتركز على تصدير المذهب (بعد أن فشلت منهجية تصدير الثورة للعالم الإسلامي) عبر المراكز الثقافية والاتصالات الفردية واختراق المجتمع والتغريب بالسذج والتلويح بإغراءات المال والمنح الدراسية وغير ذلك من الأساليب والوسائل التي يعلمها كل من اختلط بهم وعرف منهجهم. ولم تكن هذه الخطوات إلا المرحلة التمهيديّة من برنامجهم، والتي ستليها مراحل أخرى لاحقة لا تنتهي إلا بأن تسلّم المجتمع إلى الفوضى التي لا يرجى برؤه منها بعدها، فيصبح المناخ مناسباً لمن خطط لأن يشكله كيف يشاء.

وإن الناظر في التاريخ ليرى جلياً مثل هذه المنهجية المبيتة مسبقاً لانتشارهم (خاصة في تاريخ الدولة العبيدية، ولكن هذه الورقة لا يسمح اختصارها بإيراد الكثير من الشواهد على ذلك)، وكذلك الناظر في العالم الإسلامي اليوم يرى هذه المنهجية بمراحلها المتتالية واضحة جلية

ومنتشرة بين الأقطار الإسلامية، كل بحسبه، وهي تمثل المستقبل المؤلم المظلم لمجتمعنا إن تغاضينا عن التعامل الحكيم والجاد والمبكر مع بوادر هذه الفتنة:

1- فإذا أردت أن تنظر لما يمكن أن نعتبره **المرحلة التالية** للمرحلة التمهيديّة الحالية في السودان فانظر إلى **مصر** مثلاً، إذ بعد أكثر من عشرين عاماً من محاولات نشر المذهب وإثارة الفتنة الفكرية عبر الأساليب التي أشرنا إليها، انتقلوا في الأشهر الأخيرة إلى مرحلة تلمل جديدة للحصول على موطن قدم سياسي واجتماعي بالمطالبة بلافتات سياسية رسمية أو عبر السعي للحصول على تراخيص بإنشاء حسينيات خاصة بهم تمثل مساجد ضرار سينطلقون - رسمياً - للمراحل اللاحقة، وتحت حماية القانون.

2- وإذا أردت أن تنظر لملاح **مرحلة تالية**، وبعد أن ينجحوا في التمهيّد القانوني لوجودهم، فانظر إلى **الكويت** مثلاً حيث تبدأ مرحلة التوسع والتمدد السياسي وتحت عباءة القانون، حيث لا يستطيع أحد الاعتراض، فقد أفرزت الانتخابات الأخيرة في الكويت تراجع الحركة الإسلامية وتقدم الشيعة بعد أن جرى تأهيل كوادرهم في إيران وبعد أن وظفت الأصوات لصالح تقدمهم.

3- ثم تبدأ **مرحلة التوسع الجماهيري** الذي سيصنعونه بشتى الوسائل، سواء بالتغيير الديموغرافي أو بكسب المزيد من الجماهير لمذهبهم ومشروعهم (ومن وقف على خطتهم الخمسينية عرف ذلك)، ولكن ذلك قد يستغرق زمناً، وبالتالي إذا تهيأ لهم قبل ذلك فرصة لفرض إرادتهم بالقوة فهم فاعلون دون تردد ولا احترام لأكثرية ولا لانتخابات، وانظر إن شئت إلى **لبنان** لترى كيف تعطل الأقلية الشيعية الدولة وتفرض رؤيتها وإرادتها على الأكثرية بقوة السلاح الذي خططت لحيازته بجنون تحت ذريعة المقاومة.

4- أما إذا عجزت عن ذلك ولم تتمكن من فرض إرادتها لقوة الدولة مثلاً فإنها لن تتردد من شن حرب شاملة إذا شعرت بالقوة، وانظر إن شئت إلى **اليمن** وتدخل إيران في مشاكلها ودعمها للمتمردين تقف على الكثير من الحقائق.

5- ثم إذا أردت أن تنظر **لمرحلة تالية** يمكن أن تأتي بعد التوسع الجماهيري فانظر إلى **البحرين** حيث يهيمنون على البرلمان، والسلطة هناك في مأزق من أمرها لا تُحسد عليه.

6- أما إذا جمعوا بين التمكّن البرلماني والقوة فإنهم سيطلقون العنان لحقدهم كي يفعل ما يشاء، وانظر هذه المرحلة إن شئت إلى **العراق** ترى ما يشيب له الولدان من القتل والتشريد والتهميش في كل مناحي الحياة، وذلك لصناعة جيل كسيح من أهل السنة لا يملك أياً من مقومات النهوض أو القيادة.

7- أما إذا تجاوزوا هذه المرحلة فإن مشروعهم الطائفي سينطلق بقوة نحو التوطين الدائم وإنهاء الآخر ورده القهقري إلى قرون في شتى ميادين التقدم والتنمية، وانظر في ذلك إن شئت إلى المأساة المنسية لأهل السنة في **إيران** ترى ما تنفطر له القلوب.

8- وفي نفس الاتجاه يمكننا أن نقرأ الأحداث الآتية:

أ- تصريح ملك **الأردن** المشهور حول الهلال الشيعي.

ب- تصريح رئيس **مصر** حول ولاء الشيعة وكونه لإيران وليس لبلدانهم.

ج- قطع **المغرب** لعلاقتها الدبلوماسية مع إيران.

د- إبعاد العديد من اللبنانيين الشيعة من **الإمارات** مؤخراً لأسباب لا تخفى عليكم.

هـ- منع **الجزائر** قبل أيام من دخول الكتب الشيعة لما أثارته من فتن.

و- المقالات العديدة التي نشرها المهتمون بأمر **سوريا** عن انتشار حركة تشييع واسعة فيها بإذن الحكومة السورية بما قد يقلب الموازين في سوريا سكانياً خلال العقدين القادمين.

ز- تصريحات رئيس ليبيا لأكثر من مرة بأهمية إعادة الدولة الفاطمية في إفريقيا.

إنه لا يمكن لأي عاقل يتابع الأمور إلا أن يقرأ هذه الأخبار والتغييرات في إطار برنامج تحرك واسع وشامل تقوم به إيران (والسودان جزء منه حتماً) وليس في إطار أحداث متناثرة لا رابط بينها ولا تأثير لها!!

الأخوة الكرام سدد الله خطاهم:

إن السودان الحبيب لم يكن بمعزل عن برامجهم وخططهم¹ حيث كان المركز الثقافي الإيراني ينشر سمومه بشتى الوسائل، وحيث كانوا يستغلون حاجة السودان لمشاريع التنمية (كمشروع طريق السلام وغيره) فينتشرون بين القرى وبين الخلاوي وينشرون مذهبهم بهدوء ونفس طويل، وكانوا يقتنصون المرأة السودانية عبر مراكز التأهيل الخدمية، وغير ذلك من الأساليب والوسائل.

ويبدو أن جهودهم قد آتت بعض أكلها، حيث ظهروا مطلع شهر أغسطس الماضي ولأول مرة في السودان بشكل علني في احتفال جماهيري كبير في منطقة جبل أولياء، أوردته بعض الفضائيات في نشراتها كأول ظهور جماهيري علني للشيعه في السودان.

أيها الأخوة الكرام:

إننا على مشارف وأوائل فتنة جديدة، والسودان غني عنها، وليس في حاجة لفتن جديدة، ولا لدارفور جديدة، هذا فضلاً عن أن العارف بطبيعة هذه الفتنة وأهلها ومن وراءها يرى دون مبالغة ودون أدنى شك أنها في أفقها البعيد ستترقق فتنة دارفور، وذلك لما تمتلكه من عوامل الاستمرار والعنف والشدة إذا تأججت نارها، والتاريخ والحاضر شاهدان حاضران على ذلك.

إننا وفي نفس الوقت الذي نشير فيه لهذا الخطر الكبير القادم، والذي نتوقع فيه من إخواننا القائمين على الأمر في السودان الوعي الناضج لهذه الفتنة وبما تتطلبه مسؤوليتهم أمام الله تعالى في حماية الدين والبلاد منها، فإننا نشير إلى أمر خطير آخر يتمثل بدعاوى

¹ - انظر إن شئت إلى ما ذكره أحمد الكاتب صاحب كتاب (تطور الفكر الشيعي) الذي نسف فيه عقيدة الشيعة بعد أن كان من أهلها ومن أقوى الناشرين لها، حيث ذكر في كتيبه (نعم أنا شيعي جعفري) أنه كان المسئول عن بدء نشر التشيع في السودان في مرحلة مبكرة وأنه تشيع على يديه العديد من الشباب السودانيين وأنا لله وإنا إليه راجعون.

بعض إخواننا في تهوين الأمر والتقليل من شأنه، مما يعني منح الفتنة زمناً إضافياً سوف تتمكن خلاله من أوصال المجتمع بما لا يمكننا بعده فعل شيء، وموقفهم هذا ناشئ عن أسباب، منها:

- عدم إحاطتهم بالأمر من جوانبه لبعدهم عن موطن الفتنة.
- نزعة حسن الظن والرغبة في التوحد بين المسلمين التي تربينا جميعاً عليها، والتي لا يقيم لها الشيعة أي وزن إلا خداعاً للمسلمين وضحكاً على الذقون.
- نزعة من التشيع السياسي عند بعض إخواننا من أيام ثورة الخميني بسبب الشعور بالظلم الواقع على المسلمين من قبل الغرب، والتي يظن إخواننا هؤلاء أن مثل هذا الولاء للثورة الخمينية يحقق لهم بعض الشعور بتحقيق الذات أمام هؤلاء الظالمين وأمام هذه الهجمة الصليبية والصهيونية، ولا ريب أن هذا التوجه فيه ما فيه من عدم الانتباه لخطط وبرامج الآخر وبحسن نية، وبالتالي فإنه ينبغي أن لا يوضع حاملو هذا الاتجاه في موضع اتخاذ قرار في هذه القضية فيعصفوا بالبلاد ومصيرها ولات حين مندم.
- أو ربما بسبب تشيع حقيقي خفي تسرب لإخواننا في غفلة من الحركة بسبب انشغالها بالفتن التي عصفت بالبلاد، والمشكلة الأعظم هنا عندما يكون ذلك حاصلًا لبعض إخواننا من المجموعة السياسية أو الفكرية أو الأكاديمية، وهذا بذاته سيعتبر مشكلة إضافية داخل الفتنة لا بد أن تأخذ نصيبها في خطوات المعالجة.

ومن جانب آخر، وفيما يتعلق ببعض العون الذي تقدمه إيران للسودان وفي مجالات مختلفة، نود الإشارة لما يلي:

- لا بد أن تكون قراءتنا لهذا التعاون واعية في إطار المقدمات أعلاه وغيرها، فهو تعاون تحكمه عوامل عدة، منها موازنة المعادلة السياسية الإقليمية لصالح إيران، مع تقوية معسكرات المواجهة مع خصوم إيران، بالإضافة إلى عوامل مذهبية ومصالحية أخرى.

- يمكننا مع المعطيات أعلاه وغيرها الجزم أن لا وجود للعامل الإسلامي المشترك في هذا التعامل، بمعنى أنه لن يكون نتيجة شعور إيران باستحقاقات الدين المشترك والفهم المشترك له والمصير المشترك، فأدبيات المذهب الشيعي الاثني عشري تأبى عليهم ذلك، ويمكننا سوق عشرات الأدلة على ذلك، ولكن ليس هذا مجال بسطها.
- إن رعاية مصلحة البلاد في قبول مثل هذا التعاون أمر مشروع في الجملة، ولكنه يبقى في إطار الموازنة مع الفتن التي يكتنفها ويحتويها هذا التعاون كما يجوي العسل السم، فإنه لا بد من تعديل القراءة وطريقة التعامل بما يحقق مصالحنا أو الجزء الممكن منها، ويحفظ ديننا وبلادنا بعيدة عن الفتن، فجلب المصالح للبلاد لا يعني ولا يسمح شرعاً بالتضحية بالدين أو بالسماح بنشر فتنة سوف لا تبقي ولا تذر.

أيها الأخوة الكرام: إننا نكرر النداء:

إننا على مشارف وبدايات فتنة جديدة لها ما بعدها، فلا بد إذن من المبادرة السريعة للتعامل معها بشكل جاد وحكيم وعلمي ينهاها في مهدها بأقل الخسائر، والزمن ليس في صالح السودان في هذه الفتنة التي نرى آثارها في بلدان أخرى، والسعيد من وُعط بغيره. والترجمة العملية لهذه المبادرة تتمثل بوضع خطة علمية شاملة للمعالجة تتسم بالسرية والجدية وترصد لها أسباب نجاحها.

وفيما يلي أدناه بعض الأفكار التي قد تكون المفيدة في هذا الاتجاه (وقد كتبت على عجلة وتحتاج لمزيد من الإثراء والتنظيم):

1- من مقدمات المعالجة المقترحة :

1- ضرورة معرفة أنواع التشيع أو أصنافه لمعرفة كيفية التعامل مع كل منها،
ومن ذلك:

- أ- تشيع منظم أو تنظيمي: ويعالج بالقانون، وهو أنواع، ومنه:
 - التشيع السياسي: وهذا بالإضافة لمعالجته بالقانون يعالج أيضاً بالحوار العلمي القريب أو بالتعليمات التنظيمية للمصابين به من أبناء الحركة.
 - التشيع الفكري: كذلك، بالإضافة إلى معالجته بدورات فكرية وإعادة تأهيل.
 - التشيع المصلحي: ويعالج بالقانون بالإضافة إلى الضبط الأمني

- ب- تشيع غير منظم أو غير تنظيمي، وهو أنواع، ومنه:
 - التشيع السياسي: يعالج كسابقه
 - التشيع الفكري: يعالج كسابقه
 - التشيع المصلحي: يعالج كسابقه
 - التشيع الجماهيري: وهو أخطرهما، (حيث إذا انتقل إلى الجماهير توطن وصعب علاجه)، ويعالج بالإضافة لما سبق بالتوعية الجماهيرية في المساجد وغيرها.

2- نماذج تعامل ناجحة ينبغي دراسته أثناء وضع الخطة:

أ- نموذج صلاح الدين في التاريخ

ب- نموذج ماليزيا في الحاضر

2- من وسائل وأساليب التعامل والعلاج المقترحة:

1- تشكيل لجنتين خاصتين بمعالجة الفتنة: الأولى أمنية والثانية دعوية خاصة

2- التعامل الاستخباري والمعلوماتي والاختراق أحد أساليب التعامل المهمة،

وذلك بسبب منهج التقية لديهم والذي يمنع كشفهم بسهولة.

3- القيام بدورة علمية عاجلة لعدد خمسين من الدعاة لمواجهة الظاهرة في

الجامعات في إطار الحوار الفكري الذي هو أحد أساليب المعالجة.

4- إدخال منهجية للتعامل والتحصين ورد الشبهات في بعض الكليات الشرعية

ذات الصلة (المدارس النظامية في تاريخ الدولة الأيوبية كنموذج تاريخي)

5- طبع ونشر كتب الردود على شبهاتهم (كالردود على المراجعات وعلى كتب

التجاني السماوي + حوارات قناتي صفا والمستقلة + كتب أحمد الكاتب والموسوي

وغير ذلك)

6- إدخال برامج توعية في فضائيات غير رسمية مثل طيبة

7- من الأساليب: الاتصال الفردي بالمتأثرين، التحذير الأمني، الأساليب

القانونية كمنع التجمعات وغير ذلك.

8- برامج توعية مسجدية في المناطق المتأثرة

9- من أنماط وصفات برامج المعالجة :

أ- الشمول في البرامج (وأن لا يقتصر على الحل الأمني لأنه يعالج ظاهر المشكلة

وليس جذورها):

• برامج أمنية ومنها الاختراق

• برامج دعوة عامة

• برامج لقاءات وحوارات خاصة

• برامج إعلام..... الخ

ب- تهيئة متطلبات النجاح كالإدارة الكفوءة والدعم المناسب

3- من السياسات المقترحة :

1- عدم تبني الأمر بشكل واضح وإظهار أنه من ممارسات بعض الجماعات

الخاصة تحت مظلة حرية الرأي، ووضع ضوابط له ... الخ .

والحمد لله رب العالمين